الفصل السابع

الأسرة.. ومضار الضرب..

فى التنشئة النفسية للأبناء

عندما يخطئ الأبناء فلابد لهم من ضبط وتوجيه.

والأسلوب الذى يستخدم فى هذا الضبط يختلف من أب إلى آخر.بل ومن مجتمع إلى مجتمع.. وقد يكون الأسلوب الأمثل، هو إقامة علاقة طيبة بين الطفل وبين الأب تقوم على فهم صحيح لما يجب اتباعه، وما ينبغى تجنبه.

والآباء فى تعاملهم المستمر مع أبنائهم، فى حاجة إلى تفهّم الطريقة السليمة التى ينبغى اتباعها عندما يخطئ الطفل.. وفهم هل تقوم على العقاب الصارم، أو على التساهل المطلق.. أو بين هذا وذاك؟

تأثير عقاب الطفل بالضرب على نفسيته :

استخدام الضرب كوسيلة للتنشئة أصبح وسيلة مدمرة لنفوس أطفالها، وسلاحًا قاسيًا يحطم حياتهم ونفوسهم. ويهدم مستقبلهم،

ويؤدى فى النهاية: إلى الكراهية، والحقد، والرغبة فى الانتقام. ويعلمهم الكذب، والعدوانية، ثم يؤدى فى النهاية مستقبلا إلى: التشرد أو الفشل الدراسى نتيجة كراهية المدرسة أو الهروب من المنزل أو المدرسة. أو الإصابة بالأمراض النفسية أو العقلية التى يؤدى فى النهاية: إما إلى الوصول إلى مؤسسات الأحداث أو مستشفيات الأمراض العقلية أو مستقبلا تؤدى بهم إلى الجريمة والسجن نتيجة الحقد الذى نما فى نفوسهم كنتيجة للضرب والإهانة فى البيت أو المدرسة.

لذلك ينبغى تجنب العقاب العنيف للأطفال كلما أخطئوا لأن هذه الطريقة تقطع خيوط الحب بين الأباء والأبناء، وبالتالى سبل التواصل والتفاهم، فتفشل عملية التربية والتهذيب.

خطورة العقاب البدنى:

١ - خطورة هذا النوع من العقاب أنه يتحول بمرور الوقت إلى عادة مثل التدخين، فتزداد شدته وتتكرر مراته لإحداث التعديل المطلوب فى السلوك مما يؤدى إلى اضطراب الطفل نفسيًا.

٢ - بعض الأباء لا يستطيعون التحكم فى انفعالاتهم، وغضبهم مما يؤدى لإصابة الطفل بالأذى.

٣ – وأحيانًا تبكى الأم أو يكتئب الأب ويغلب عليهما الإحساس بالذنب على أثر عقاب أولادهم.

٤ – ومن جهة أخرى، فإن العقاب البدنى كوسيلة من وسائل التربية الاجتماعية والسلوك الاجتماعى والأخلاقى قد يتحول إلى عادة لا تفرق بين أنماط السلوك ومستوى العقاب. فيعاقب الطفل على كل شىء أو على لا شىء، أو يعاقب بقسوة على سلوك لا يستدعى أكثر من مجرد التأنيب.. فالعقاب البدنى لا يمنع الطفل من ارتكاب الخطأ بقدر ما يجعله حريصًا على التفنن فى أخطائه، والتشبث بالكذب والإنكار حينما يكتشف أمره. وهذا الأسلوب يؤدى لا محالة إلى السلبية فى الطفل، وفشل العقاب، وانعدام فعاليته كتعديل للسلوك أو إزالته.

طريقة عقاب الطفل بغير الضرب:

بعض الوالدين ينظرون إلى العقاب من أفق ضيق جدًا.

فالعقاب فى نظرهم هو ضرب الطفل، ولا شىء غير الضرب، ولكنْ للعقاب طرق أخرى كثيرة غير الضرب: فمثلا:

إذا غضب أحد الوالدين على الطفل لسبب من الأسباب، وظل غاضبًا عليه نصف اليوم، وامتنع عن التحدث إليه أو الإجابة عليه إذا حاول الحديث معه، فإنه قد عاقب الصغير لأنه حرمه من

السعادة طوال هذه المدة، والحرمان من السعادة من أشق ألوان العقاب على نفوس الصغار.

لذلك:

فعلى الوالدين ألا يجبروا الطفل على اتباع سلوك معين عن طريق الضرب؛

إن الهدف الرئيسى الذى ينبغى أن يضعه الآباء الذين يستهدفون مصلحة أبنائهم حقا نصب أعينهم، هو أن لا يجبروا الطفل على اتباع سلوك معين عن طريق العقاب، ولكن عليهم أن يساعدوه على أن يقرر لنفسه ما ينبغى وما لا ينبغى أن يفعله، وأن يسلك طريقه وفقا لذلك.

وهذه خطوة أخرى إلى الأمام وأسميها «تنظيم الذات» واسمها عند الكبار «السلوك بوحى الضمير». والأطفال لهم ضمير أيضا، يبدأ صغيرًا فى سن السنة والسنتين، ثم يكبر نوعا مّا بين الثالثة والخامسة، ثم يصبح قوة ذات أثر فى توجيه الطفل بعد السادسة.

بعض التوجيهات العامة عن العقاب:

- العقاب البدنى بكل صوره لا ينجح فى تعديل السلوك. وحتى لو تم كبته لفترة، فإنه غالبًا ما يتحول أو يتخذ له شكلا مختلفًا على المدى الطويل.

- النتائج الإيجابية للعقاب البدنى عادة أقل تأثيرًا من نتائج أنواع العقاب الأخرى: كالحرمان من النقود، أو مشاهدة التليفزيون، أو بعض امتيازات أخرى، وأقل فاعلية من نتائج الإقناع المتفهم.
- يجب أن تكون الغاية من العقاب هى تعديل السلوك دون تحقير الطفل وإذلاله، أو إثارة الخوف فيه، وبحيث يدرك أن العقاب موجه نحو السلوك، وليس له كإنسان.
- العقاب البدنى المتكرر ينمى فى الطفل: إما خصلة الخضوع وانعدام الشخصية، أو خصلة التعدى على الغير، أو على إخوته الصغار، أو بتحطيم ممتلكاته وممتلكات الآخرين (اللعب.. وغير ذلك).
- يجب أن ينتهى الإحساس بالغضب بعد وقوع العقاب وأن يعامل الطفل بصورة طبيعية.
- من الخطأ المبالغ فيه معاقبة الطفل الصغير بإرساله للفراش أو الاعتكاف فى غرفته، فالطفل ينظر لحجرته كمكان آمن يحصل فيه على الراحة والمتعة، ولا يجب أن يستخدم كسجن أو منفى يقضى فيه الطفل فترة العقاب..

الأفضل أن تنتقل الأم فى مكان بعيدًا عنه وتجلس فى صمت وهدوء، وبحيث يراها طول الوقت.. وفى مثل هذه الحالات فإن الطفل سريعا ما يعود إلى الأم للتأكد من أنها مازالت تحبه.

ضرب الطفل فى الشهور الأولى :

وقد يكون مثارا للدهشة أن يلجأ الوالدان إلى ضرب الطفل وهو لايزال فى الشهور الأولى من حياته، لأنه :

بكى جوعًا أو ألمًا، أو طلبًا للانتباه، أو ضربوه لأنه أصر على شيء لم يَرَ الكبار أن يجيبوه إليه. أو ضربوه لأى سبب آخر..

ولست أقول ذلك من قبيل الشفقة على الطفل، ولكن أقول ذلك لمصلحته ومصلحة الكبار معا:-

فمصلحته: لأن أى نوع من أنواع العقاب قبل السنة الثانية لن يكون له أثر توجيهى عليه، أى أنه يخلو من المنفعة كلية.

لمصلحتهم: لأن الكبار كثيرًا ما يلومون أنفسهم ويندمون على اندفاعهم ويحاولون تعويض ما فعلوه بالإفراط فى التدليل للطفل. . بذلك يحاولون إصلاح خطأ بخطأ آخر، ثم لأنهم دائما يكتشفون بعد فوات الأوان، أنهم خاطئون وأن ما حققوه بالضرب كان بوسعهم أن يحققوه بطرق غير الضرب، أكثر إيجابية منه وأبقى أثرًا.

أسباب لجوء الوالدين إلى ضرب الطفل فى هذه السن :

إن الكثير من الوالدين مع الأسف يلجئون إلى هذا الأسلوب المدمر فى التعامل مع الطفل وهو فى الشهور الأولى من عمره، وذلك:

- لأنهم يجهلون المبادئ الأولية والأساسية في نمو الطفل، يضيقون بما يصدر عنه فيسرعون إلى ضربه أو عقابه بصورة أو بأخرى كلما أتى الطفل بما لا يروقهم.
- لأنهم يضيقون بمطالب الطفل، ويعتبرون أن كل تصرف منه، يخرجهم بعض الشيء عن الراحة التي ينعمون بها، واعتباره عبئًا لا يطيقون احتماله فينفسون عن أنفسهم بضرب الطفل وعقابه.

وما أكثر ما سمعنا وشاهدنا عن والدين قسوا على أطفال لم يتجاوزوا العام الأول وضربوهم لأن الصغير: رأى نظارة أبيه على المقعد أو المنضدة فقصد إليها وأمسكها ووقعت منه فانكسر أحد أحجارها.. أو لأنه قلب منفضة سجائر بما فيها من أعقاب على السجادة أو لأنه كسر كوبًا أو آنية زجاجية كانت في متناوله.

إن بعض الوالدين وخاصة صغار السن منهم يظنون أن الوقت قد حان لتعلم الطفل النظام عن طريق إخافته وعقابه بالضرب.

الواقع أن هذا التصرف منهم يدل على أنهم يخطئون - خطأ غير مقصود بين النظام والعقاب.. وشتان بين الأثنين: فالعقاب ضبط سلبي.. أما النظام فإنه ضبط إيجابي.. وهو أصعب في ممارسته من العقاب لأنه يتضمن التخطيط والنظر إلى الأمام.. كما أنه يؤدي في النهاية إلى أنه يُرغّب الطفل في عمل الشيء الذي يراه الوالدان صوابًا.

دور الوالدين لتجنب ضرب الطفل فى سنواته الأولى:

على الوالدين أن يعرفوا معالم النمو لدى أطفالهم ومقتضيات هذا النمو حتى يسبقوهم إليها بالإجراءات الوافية.

- فمثلا يقومون بإبعاد (الفازات) أو أى شيء آخر يمكن أن يكسر من الطفل حتى لا يكسره بدلا من أن يضربوه إذا كسره.
- يزودون الطفل باللعب التى تشغل فكره ونشاطه ولا تجعله يشعر بالحاجة إلى استخدام أدوات أو أوانٍ لا يريده الكبار أن يستخدمها.
- يعطون الطفل كتبًا مصورة ملائمة لسنه بدلا من كتبهم التى يعتزون بها ويحرصون عليها، ولا حصر لمثل هذه المواقف فى حياة الطفل كل يوم. لأنها كلها مواقف يحاول الطفل عن طريقها أن يتعلم وأن يتعرف على العالم حوله، وأن يكتشف ما خفى عليه من أمره.. فإذا منعه الكبار من ذلك فإنهم يسدون أمامه سبيلا هاما من سبل المعرفة. وما أظن أن هناك من الوالدين من يقصدون بسلوكهم هذا أن يحرموا أبناءهم فرص التعلم، ولا من يصرون على هذا السلوك إذا آمنوا أنهم بالتمسك به يؤذون أبناءهم، ويعطلون نموهم، ولا يدفعونهم نحو السير على الطريق الصحيح فى الحياة.

وفى النهاية: فى وسع الوالدين أن ينهضوا بمهمة التنشئة للصغار بالروح السليمة، روح الصداقة والمحبة، لأنه فى ذلك سوف يبعث فيهم الحماس للقيام بخير ما عندهم، وذلك لأن قدرات الطفل تتغذى وتنمو مع التشجيع، وتضمر وتموت مع القسوة والضرب.

obeikandl.com